غريغوريوس ابن الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

١١

قد أُصيبت بموت ابن العبري العلوم والآداب بين اليعاقبة بضربة قاضية فلا تكاد تجد بعدهُ كاتباً يُذكر فاضحت مذ ذاك هذه الطائفة اشبه بشجرةٍ ذوت اغصانها ونضب ماء حياتها فلم يُجتَنَ منها ثمر طيّب وهي لا تزال الى يومنا في انحطاط وتقهقُر اعاد لها الله محيي الرمم نضارتها الاولى برجوع روسائها الى وحدة الايمان

اما تآليف هذا اللفان الجليل فانها على الحقيقة عبارةٌ عن معارف البشر جمعاء في القرن الثالث عشر وان سرحت الطرف في جدول اسامي كتبهِ فقط يأخذ منك الانذهال ولا تتمالك عن الاقرار بقدر فضلهِ وسعة علمهِ وتفنُّنهِ في كل اصناف الآداب. وان توغَّلتَ في تصفُّح هذه التآليف وفحصها فرداً فرداً زاد منك العجب وقضيت لهُ بالسبق على كلّ معاصريهِ من الشرقيين دون استثناء. اما اذا قابلت بينهُ وبين العقول السامية التي برزت في الغرب في ذلك العصر وجدتَ ابن العبري جارياً في مضمار الفحول لم يسبقهُ غير رجلين يُعدّان بحمّ مداركهما كغرّتي دهرهما اعني المعلّم الملاكيّ شمس المدارس القديس توما الاكويني والمعلّم السروفيّ القديس بُونَوَنتورة. هذا وانّ ابن العبري قد فقهها بعدّة علوم لم يصنّفا فيها شيئاً كالطبّ والهيئة والتاريخ واللغة والآداب الدنيويّة لابن الفرج المطلبيّ في كل ذلك تآليف تستوجب الاعتبار كما سترى

وما يزيد ابن العبري شرفاً انّ تآليفهُ اضحت في الشرق بعدهُ كدستور يُرجَع اليهِ. ومورد يستقي منهُ كلُّ من اراد ان يتخرَّج بعلوم الاقدمين. والدليل على ذلك اننا رأينا في غضون سفرنا الحديث اغلب تآليفهِ في ايدي الادباء من كلّ طوائف الشرق على اختلاف مللهم يتداولونها ويستنسخونها لاحراز فوائدها. وقد بلغ كلف سيادة ايليا ميلوس رئيس اساقفة ماردين الجزيل الاحترام بهذه المصنّفات الى ان نقل منها بيده ما ينيف على عشرين مجلداً ضخماً يحفظها بمزيد الحرص في خزانة كتب كنيستهِ الغنيّة بالتآليف الكلدانية القديمة

هذا وتيسيرًا للاطّلاع على اعمال صاحب الترجمة احببنا ان نسرد في ما بقي من مقالتنا جدولًا لتصانيفه منقسمةً الى ابواب على مقتضى المواضيع التي كتب فيها ونلحق كل تصنيف بما نراهُ حريًّا بالاعتبار

١ الكتب الدينيّة

(تفسير الكتاب المقدّس) لابن العبري في شرح الاسفار الالهيــة كتاب يُعدّ من انفس ما وُضع في هذه المادّة. انّهُ صاحبهُ بالسريانية باسم اَوْرَة فَتَاْ ثمّ عُرّب بعده بقليل فوُسِم باسم كَنز الاسرار . ومن كليهما نُسَخ في خزائن كتب اوربة الخطّية. وهذا التأليف انجزهُ ابن العبري قبل وفاتهِ بنحو عشر سنوات اهتمّ فيه اهتمامًا عظيمًا وهو يحتوي على نصّ الاسفار المقدّسة على حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة (فشّهُا) مع ذكر ما يوجد بينها وبين النُّسخ القديمة من الروايات المختلفة لاسيّما الترجمات العبرانية والسامريّة والسبعينية وترجمتَيْ اكويلا وسيماكوس وروايات اوريجانس . وقد شرح من متن الكتب الالهية ما رآهُ مُغلقًا عويصًا وربّما استند في شروحهِ على تعاليم الآباء الاوّلين من اليونان والسريان وشروح من سبقهُ من اهل ملّتهِ كموسى برکيفا وديونيسيوس برصليبي وجرجس اسقف العرب وغيرهم. ولو لم يكن لابن العبري غير هذا الاثر الجليل لكفى لتخليــد اسمهِ. وقد طُبع من هذا المجموع الشريف اقسام عديدة تكاد اذا جُمعت تستوفي اكثر من ثلثي الاسفار الالهية فقد نشر بالطبع الدكتور شرُوتر (Schröter) فصولًا من سفر التكوين والخروج وتثنية الاشتراع . وطبع سنة ١٨٩٥ الدكتور كِربر (Kerber) شروح ابي الفرج على كتاب اللاويين . وطبع الدكتور كِروس (Kraus) شرح كتابَي يوشع بن نون والقُضاة سنة ١٨٨٤ . وطبع قبلهُ الدكتور برنستين (Bernstein) شرح سفر ايُّوب . امّا شرح اسفار سليمان الحكيم (الامثال والجامعة والحكمة) فقد نشرها سنة ١٨٨٧ الدكتور رالفس (Rahlfs) وطبع شرح راعوت الدكتور هپنر (Heppner) سنة ١٨٨٨ . وشرح سفري الملوك الاوّل والثاني الدكتور مرغنسترن (Morgenstern) . ونشر الدكتور شروتر المذكور وغيرهُ قسمًا من شرح المزامير . والدكتور تلبرغ (Tullberg) ابرز شرحهُ على اشعيا النبي . والدكتور فرَيمان (Freimann) على نبوّة دانيال . وكوران(Koraen) على ارميا . والدكتور كاتس (Kaatz) على سفر ابن سيراخ . امّا اسفار العهد الجديد فقد طبع منها الدكتور سپــانوث (Spanuth) شرح انجيــل متى . والدكتور سقينهرت

(Steinhart) شرح انجيل لوقا سنة ١٨٩٦ . والدكتور شوارتز (Schwartz) شرح انجيل يوحنا . والدكتور كلمروث (Klamroth) شرح اعمال الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكية . والدكتور لوهر (Lochr) شرح رسائل الانبا المصطفى . ويا حبذا لو جُمعت هذه الطبعات المتفرّدة فنُشرت في كتاب واحد يجتني من فوائده دارسو الكتاب المقدّس . وكان الدكتور لرسوف (Larsow) باشر هذا العمل فلم يتمّمهُ .

(الكتب اللاهوتية) قد صنّف ابن العبري في هذا الباب كتاباً خطيراً بالسريانية اسمهُ منارة بضمّ الميم وفتحها اي منارة الاقداس ترجمهُ الى العربيّة احد ادباء اليعاقبة المعاصرين لابن العبري اسمهُ داتيال بن الخطّاب . وعرّبهُ ايضاً بعدهُ الشمّاس سركيس بن يوحنّا الدمشقي الزرباني وفي خزانة كتبنا الشرقية منهُ نسخة نُقلت عن اصلهِ الموجود في دير السريان بالشرقة . وهذا الكتاب جليل في معناهُ قد قسّمهُ صاحبهُ جزاهُ الله خيراً اثني عشر ركناً هذه اسماؤها : ١ بيان العلم المطلق ٢ في العالم وتكوينهِ ٣ في الثالوث الاقدس ٤ في التجسّد ٥ في الملائكة ٦ في رئاسة الكهنوت ٧ في الشياطين ٨ في النفس الناطقة ٩ في الحرّية البشرية والعناية الالهية ١٠ في قيامة الاموات ١١ في الدينونة والعقاب ١٢ في الفردوس . وكل هذه الاركان تتفرّع الى فصول عديدة وتنقسم الفصول الى مقاصد . وتتجزّأ المقاصد الى دلائل وشواهد . اودعها صاحبها كلّها مباحث جليلة يثبتها عقلاً ونقلاً . وقد طبع الدكتور غوتيل (Gottheil) من هذا التأليف فصلين في النبات وخواصّهِ وفي رسم الارض . وهو من الكتب المتمّمة التي تستحقّ ان تُنشر لفوائدها الجمّة ونأسف على ان ضيق المكان لا يسمح لنا بتفصيل ما تضمّنهُ هذا الكتاب من الابحاث النافعة

ولابي الفرج كتاب آخر لاهوتي يُدعى بالسريانية هكذا وأخذنا (كتاب الاشعّة) يقسم الى عشرة اقسام قد اختصر فيهِ كثيراً من المطالب النظريّة التي وردت في التأليف المذكور آنفاً وتصدّى لمباحث أُخرى قليلة في الاعتقادات الكنسية

ويسوغ لنا ان نلحق بهذا الباب رسالة سريانية لابن العبري تدعى « دستور الايمان » ضمّنها معتقد اليعاقبة في زمانهِ

وكذلك رسالتهُ الى الجاثليق النسطوري الذي مرّ ذكرها سابقاً (ص ٤١٥)

(كتب الآداب البيعية) من تصانيف ابن العبري في هذا الباب كتابان جزيلا

المنافع احدهما موسوم بكتاب الهدايات (ܟܬܒ̈ܐ ܕܗܕ̈ܝܐ) وهو مجموع القوانين البيعية والرسوم المدنية التي تستند اليها كنيسة السريان الغربيين مأخوذة من اعمال المجامع البيعية والاحكام الملكية منذ قرون النصرانية الاولى الى زمن المؤلف . وهذا الكتاب للاساقفة بمثابة كتاب عبد يشوع الصوباوي المدعو مجموع القوانين (ܟܢܘܢܐ ܕܣܘܢܗܕ̈ܘܣ) للناطرة . وهو ينقسم الى قسمين يبحث في الاول عما يختص بامور البيعة والثاني مداره على احوال المؤمنين العاليين . وابواب الكتاب اربعون باباً تتفرع الى فصول شتى . وهذا التأليف قد عربهُ في ايام ابي الفرج دانيال بن الخطّاب الموما اليه . ومنهُ نسخةٌ خطّية في مكتبة آل ميديسيس في رومة العظمى . وقد ترجمهُ الى اللاتينية العلاّمة المنسيور يوسف السمعاني الطائر الشهرة فطُبعت ترجمتهُ في عصرنا تراثاً طبعها الكردينال ماي (Mai : *Script. Vet. Nova Collectio*, X)

والكتاب الآخر ليس بانقص شأناً من الاول وهو كتاب الايثيقون (ܟܬܒ̈ܐ ܕܐܝܬܝܩܘܢ) اي في الآداب وتهذيب الاخلاق لدينا منهُ نسخة معرّبة نقلناها عن الاصل المصون في دير السيدة بالشرفة وهو مكتوب سنة ٢٠١٠ للاسكندر (١٦٩٨ م) . ولعلّ هذه الترجمة هي لابن الخطّاب معرّب كتاب الهدايات ومن تعريبهِ نسخة في المكتبة الفاتيكانية . وفيها للقس يوحنا بن جرير الشامي تعريب آخر كُتب سنة ١٦٤٥ . وهذا الكتاب ينقسم الى اربع مقالات تحتوي ثلاثة واربعين باباً تشتمل ما ينيف على ثلاثمائة وثلاثين فصلاً اسهب فيها القول عن الفضائل الدينية والاخلاق الادبية مما يُقتضى على الانسان لاسيّما النصرانيّ وخصوصاً الراهب ان يتّصف بهِ وقد استشهد في معرض كتابهِ بالآباء وعلمي السيرة الروحية . ومن منافع هذا الكتاب معرفة العوائد التي كان يجري عليها نصارى المشرق في زمن ابن العبري

ولابي الفرج ايضاً في التعاليم الروحية كتاب صغير دعاهُ (ܟܬܒ̈ܐ ܕܡܘܗܪ̈ܐ) اي كتاب الحمامة منهُ نسخة معرّبة في خزانة كتبنا الشرقية . غاية المؤلف بوضعهِ لهُ ان ينهج للنسّاك طريقاً للحياة الروحية فيستغنوا بمطالعتهِ عن المرشدين . وهو اربعة ابواب الباب الاول في التعبُّد البدني . الثاني في السيادة النفسانية . الثالث في الراحة الروحانية التي للكاملين . وكلٌ من هذه الابواب ينقسم الى عشرة فصول . امّا الباب الاخير فقد اودعهُ ابن العبري منهُ نصيحة تفيد الحياة الروحية

(كتب الطقوس) يحقُّ ان نذكر من هذا القبيل نافورًا وضعهُ ابن العبري كرُتبة للقداس نقلهُ رينودوت الشهير الى اللاتينية فطبعهُ في مجموع ليتورجيات المشرق (Renaudotii, *Liturgiarum Orient. Collectio*, II, 456)

وفي هذا الباب يدخل تهذيبهُ للنافور المعروف بالكنيسة السريانية بنافور القديس يعقوب الرسول الملقَّب باخي الربّ طبعهُ رينودوت في كتابه المذكور (الجزء الثاني ص ١٢٦)

وقد هذَّب ايضًا ابن العبري كتاب رتبة المعموديَّة لساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة (ستأتي البقية)

التنوير

للاب موريس كرلجت اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٤

في غاز الفحم الحجري

سبق لنا القول في أدوات التنوير الجامدة والمائعة (ص ٤٥٠) ومدار كلامنا اليوم على الغاز المُستخلَص من الفحم الحجري (gaz de Houille)

لا يجهلُ الناس منذ زمن قديم ان الفحم المعدنيّ يتصاعد منهُ أبخرة تُدعى غازات قابلة الالتهاب . وربَّما كانت هذه الابخرة كثيفة جدًّا في بعض الامكنة حتَّى اذا غُرز في الارض انبوبٌ مثقوبُ الطرفين وأُدنيَ من الطرف الاعلى لهيبُ نار سطع منهُ نورٌ يمكن الاستصباح بهِ والاستدفاء بحرارتهِ

وانَّما اليوم يُستخرج الغاز بتقطير الفحم الحجري على اليُبس . فالفرق بين موادّ الوَقُود الموصوفة سابقًا والغاز الحجري الذي نحن في صددهِ أنَّ في الشمع والزيت والبترول يتحلَّل الغاز بواسطة الحرارة الناتجة عن اتّقاد جسم جامد او جسم مائع . امَّا الغاز الحجري فكيفية استعمالهِ بأنْ يُجمع ما يَخرُج منهُ بالتقطير في المعامل الخاصَّة ويُصعد في اساطين ضخمة او قِرَع واسعة ثم يوزَّع على الزُّبن والمشترين بهيئة بُخار يجري الى بيوت الخواصّ في انابيب (قساطل) ممدودة تحت الارض